.. بلقاء ربهم

يا حبيب القلوب مالي سواكا
ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا
ليس لي في الجنان مولاي رأي
غير أني أريدها لأراكا

يا معشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء لا يطولن عليكم الأمل باستبطاء الأجل فإن معظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب
إن يوما جامعا شملي بهم
ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

وقوله: [ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك]: خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته كما أن دم الشهيد يجيء يوم القيامة يثغب دما لونه لون الدم وريحه ريح المسك وبهذا استدل من كره السواك للصائم أو لم يستحبه من العلماء وأول من علمناه استدل بذلك عطاء بن أبي رباح وروي عن أبي هريرة: أنه استدل به لكن من وجه لا يثبت وفي المسألة خلاف مشهور بين العلماء وإنما كرهه من كرهه في آخر نهار الصوم لأنه وقت خلو المعدة وتصاعد الأبخرة وهل وقت الكراهة بصلاة العصر؟ أو بزوال الشمس؟ أو بفعل صلاة الظهر في أول وقتها؟ على أقوال ثلاثة: والثالث: هو المنصوص عن أحمد

وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان: أحدهما: أن الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا وروى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعا: [يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم، أفواههم أطيب من ريح المسك] حكي عن سهل بن عبد الله التستري الزاهد رحمه الله: أنه كان يواظب على الصيام فمر يوما بثمار وبين يديه رطب حسن فاشتهت نفسه فرد شهوتها فقالت نفسه: فعلت بي كل بلية من سهر الليالي وظمأ الهواجر فأعطني هذه الشهوة واستعملني في الطاعة كيف شئت فاشترى سهل من الرطب وخبز الحواري وقليل شوى ودخل موضعا ليأكل فإذا رجلان يختصمان فقال أحدهما: إني محق وأنت مبطل أتريد أن أحلف لك أني محق وأن الأمر على ما زعمت قال: بلى فحلف قال: وحق الصائمين إني محق في دعواي فقال: هذا مبعوث الحق تعالى إلى هذا السوط بي ثم أخذ بلحيته وقال: يا سهل بلغ من شرفك وشرف صومك حتى يحلف العباد بصومك فيقول: وحق الصائمين فيقول: وحق الصائمين ثم تفطر أنت على قليل رطب والله أعلم.

قال مكحول: يروح أهل الجنة برائحة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذه الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام وقد تفوح رائحة الصيام في الدنيا وتستنشق قبل الآخرة وهو نوعان: أحدهما: ما يدرك بالحواس الظاهرة كان عبد الله بن غالب من العباد المجتهدين في الصلاة والصيام فلما دفن كان تفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤي في المنام فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ.

والنوع الثاني: ما تستنشقه الأرواح والقلوب فيوجب ذلك للصائمين المخلصين المودة والمحبة في قلوب المؤمنين و[حديث الحارث الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن زكريا عليه السلام قال لبني إسرائيل: آمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم تعجبه ريحه وأن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك] خرجه الترمذي وغيره لما كان أمر المخلصين بصيامهم لمولاهم سرا بينه وبينهم أظهر الله سرهم لعباده فصار علانية فصار هذا التجلي والإظهار جزاء لذلك الصون والإسرار في الحديث: [ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية] قال يوسف بن إسباط: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء قل لقومك يخفون لي أعمالهم وعلي إظهارها لهم
تذلل أرباب الهوى في الهوى عز
وفقرهم نحو الحبيب هو الكنز
وسترهم فيه السرائر شهرة
وغير تلاف النفس فيه هو العجز

والمعنى الثاني: أن من عبد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله بل هي محبوبة له وطيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ما وجد في الدنيا قال بعض السلف: وعد الله موسى ثلاثين ليلة أن يكلمه على رأسها فصام ثلاثين يوما ثم وجد من فيه خلوفا فكره أن يناجي ربه على تلك الحال فأخذ سواكا فاستاك به فلما أتى لموعد الله إياه قال له: يا موسى أما علمت إن خلوف فم الصائم أطيب عندنا من ريح المسك ارجع فصم عشرة أخرى ولهذا المعنى كان دم الشهيد ريحه يوم القيامة كريح المسك وغبار المجاهدين في سبيل الله ذريرة أهل الجنة ورد في حديث مرسل: [كل شيء ناقص في عرف الناس في الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعته ورضاه فهو الكامل في الحقيقة خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك] عري المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر ذل الخائفين من سطوته هو العز تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة جوع الصائمين لأجله هو الشبع عطشهم في طلب مرضاته هو الري نصب المجتهدين في خدمته هو الراحة:
ذل الفتى في الحب مكرمة
وخضوعه لحبيبه شرف
هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب سعى سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل وللمذنبين بالعفو والمستوجبين النار بالعتق لما سلسل الشيطان في شهر رمضان وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل سلطان الهوى وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل فلم يبق للعاصي عذر يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي يا شموس التقوى والإيمان اطلعي يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي يا قلوب الصائمين اخشعي يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي يا عيون المجتهدين لا تهجعي يا ذنوب التائبين لا ترجعي يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا سماء النفوس أقلعي يا بروق العشاق للعشاق المعي يا خواطر العارفين ارتعي يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي يا جنيد اطرب يا شبلي احضر يا رابعة اسمعي قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلا من دعي: ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ ويا همم المؤمنين اسرعي فطوبى لمن أجاب فأصاب وويل لمن طرد عن الباب وما دعي.

وقفات رمضانية

الشافعي أمير شعراء الحكمة

لقد تربع الإمام الشافعي على عرش إمارة الحكمة في الشعر العربي طوالة أربعة عشر قرنا ولم ينجب الزمان له مثيلا اذا ما استثنينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام ومن على منوالهم ممن كانوا روادا في العلم، الإمام علي باعتباره باب مدينة العلم والشجاعة والحكمة في عصر النبوة الزاهر.. ولعل إضافة الأبيات التالية للشافعي تثري المائدة الشعرية المنثورة أدناه .. وقد تدفعنا الى حفظ أبيات الحكمة والزهد والمديح النبوي التي جاء بها أبوتمام وأبوالعتاهية والبوصيري وأحمد شوقي وغيرهم بعد عصر الشافعي.. فلنقرأ للشافعي في نصائحه وحكمه البليغة قوله:

اذا المرء

إذا المَرءُ لا يَرعاكَ إلّا تَكَلُّفاً
فَدَعْهُ وَلا تُكْثِر عَلَيهِ التَأَسُّفَا
فَفِي النّاسِ أبْدَالٌ وَفي التّرْكِ رَاحةٌ
وفي القلبِ صبرٌ للحبيب ولو جَفَا
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهوَاهُ يَهْوَاك قلبهُ
وَلا كلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إذا لم يكن صَفْوَ الفؤادِ طبيعةً
فلا خيرَ في ودٍّ يَجِيءُ تَكَلُّفَا
ولا خيرَ في خلٍّ يخونُ خليلهُ
ويلقاهُ مِنْ بعدِ المودّةِ بالجَفَا
وَيُنْكِرُ عَيْشاً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَيُظْهِرُ سِرّاً كان بِالامسِ قَدْ خَفَا
فسَلامٌ على الدُّنْيَا إذا لَمْ يَكُنْ بِهَا
صديقٌ صدوقٌ صادقُ الوعدِ مُنْصِفَا

واسمع الى قوله المتوازن والمعتدل في النظرة لأهل البيت والصحابة:

أهل البيت

إنْ كان رفضاً حبُّ آلِ محمدٍ
فليشهدْ الثقلان أني رافضيّ

وعلى منواله:

أو كان نصباً حُبُّ صَحْبِ محمدٍ
فليشهدْ الثقلان أنّي ناصبي

أحب الصالحين

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي
ولو كنا سواء في البضاعة

يخاطبني السفيه

يخاطبني السفيه بكل قبح
فأكره أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما
كعودٍ زاده الإحراق طيبا

شكوت إلى وكيع

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلم نورٌ
ونور الله لا يُهدى لعاصي

تموت الأسد

تموت الأسد في الغابات جوعا
ولحم الضأن تأكله الكلاب
وذو جهلٍ ينام على حرير
وذو علمٍ مفارشه التراب

ثمن الثياب

عليّ ثيابٌ لو يباع جميعها
بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها
نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر السيف إغلاق غمده
إذا كان عضبا أين ما وجهته فرى

نعيب زماننا

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

الدهر يومان

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر
والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف
وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفي السماء نجوم لا عداد لها
وليس يكسف إلا الشمس والقمر

نيل العلم

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ
سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ
وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ